

# تربية الأطفال

وأثر الاختلاف بين الأبوين فيها

بقلم الأستاذ س . م .

تحنو الأم على طفلها ويتغاب قلبها على عقابها كلما أخطأ . فهي توسع له من رحمتها وتأبى أن تتفاضه بالعقوبة التي يستحق . وهو لذلك يركن إليها ويفر إلى حضنها كلما وجد من أبيه صرامة أو خشونة . وعادة الأب أن ينظر إلى المستقبل أكثر مما ينظر إلى الحاضر في كل ما يتعلق بأبنائه وأن يسلط عقله على قلبه حتى ولو آلمه هذا . فقد يعاقب الأب ابنه وهو يتألم لهذه العقوبة ولكنه يؤديها واجبا أو ييا يعتقد أن مصلحة ابنه تقتضيه لأنه ينشد في ابنه رجلا للمستقبل ويجب لذلك أن يعوده عادات الرجولة في الجلد والشجاعة والامانة والاقتصاد .

ولا بأس في أن يختلف الأبوان بعض الشيء في المعاملة لانهما أحدهما يعامله بقلبه ورحمته، والآخر يعامله بعقله وحكمته . ولكن إذا أسرف كلاهما في اتباع خطته فإن الفرق بينهما يتصم أمام الطفل ويهود وكأنه مظلوم من أبيه لا يجد حقه إلا عند أمه . وعندئذ نرى الطفل المدلل . أي ذلك الطفل الذي يطلب من أبيه قرشا زائدا فيجد الرفض . ولكنه لا يبالي هذا الرفض لأنه - بعد أن يخرج أبوه من البيت - - سيلجأ إلى أمه ويلج في طلب هذا القرش حتى تدفعه إليه . ويجد ذلك الطفل الذي يرتكب جرما صغيرا يعاقبه أبوه عليه بالتوبيخ والنهر أو بما هو أفسى منهما، فإذا بكى آوته أمه وربتت عليه ورشته بالحلوى أو القروش كأنها تؤدي له تعويضا عما أنزله أبوه به من قسوة زائدة . ومنطق هذا الطفل يتمس به إلى أن جرمه الصغير لم يكن يستحق العقوبة وأن أباه لم يكن له الحق في هذه القسوة والبرهان قائم في ذهنه على ذلك بما رأى من اختلاف بين أبويه في معاملته .

وخيبة الأبناء تبدأ من هذه البدايات الصغيرة . فإن الطفل في سنه الأولى من عمره يتخذ أسلوبا من السلوك وذنونا من الأخلاق كلاهما قد رتب على ما لقي من معاملة أبويه في هذه السنين . وهو عندئذ يكره أباه ويهده عدوا بكل معنى العداوة . يستنقل ظله ويستخشن صوته ويكره لقاءه ويتعمد إيذائه ويستعش نصيحته . وكثيرا ما نلقى أطفالا يهزأون بأبائهم ويضحكون من حولهم بما كانت لهم في حركاتهم وإيماءاتهم . ولا سبب لهذه الحال إلا أن هؤلاء الأطفال قد كرهوا آبائهم . ولعل كثيرا من هذه الكرامة يرجع إلى أن الأم كانت

تصالح أبنها وترشوه وتدله كلما أودى بالعقوبة من والده حتى استقر في عقل الصغير أن هذا الوالد عدو . ومتى استقرت هذه العاطفة فإن من الصعوبة بمكان أن تزول في المستقبل حتى حين يشب الصبي ويعرف مكانة أبيه ويحكم عقله في علاقته .

والمادة أن الطفل يعجب بأبويه - وخاصة بأبيه - إذ لم يجد ما يعوق هذا الإعجاب وهو يجب أن ينشأ على غراره له مثل مقامه وصداقته وهيبته . وقد قيل " كل فتاة أيتها معجبة " والحقيقة أن كل فتى أيضا كذلك . ولكن إذا كانت لأم قد أسدت العلاقة بين الأب والابن بالاسراف في التمدليل والمبالغة في الزحمة فإن الطفل ينشأ وهو يكره كل شيء يلبس أباه أى يكره عاداته وأحلاقه وحرفته ويحاول - بعقله الباطن - أن يتجنب ويتحاشى كل هذه الأشياء لأنها في ميزانه النفسى خصائل مكروهة من شخصية غير محببة .

وقد يكون الضرر من هذا الاختلاف بين الأبوين في تربية لأبناء صغيرا عد لآدم الأوروبية لأن تربية الأم هناك لا تنقل عن تربية الأب . وكلاهما يعرف قيمة الحبس للعاطفة والاستماع نداء العقل وضرورة الصرامة في بعض المواقف وضرر التمدليل . وكلاهما يعرف أنهما حتى حين يختلفان يجب أن يكون هذا الاختلاف بعيدا عن رؤية الابن . ولكن الخلل ليست كذلك في مصر حيث التقصير واضح في تربية الأمهات . من مستوى لرحل يزيد على مستوى المرأة . وليس هذا في التحصيل المدرسى أو الثقافة العامة فقط بل أيضا في الاختبارات الدنيوية والقدرة على الحكم على المستقبل وتمييز النافع من الضار في كل ما يتعلق بأخلاق الطفل . ولهذا تمدد رحمة الأم التي تبلغ حد التمدليل لتفضل ضرر . أكيدا به لأنها تجعله يحس أنه على حق في كل خلاف ينشأ بينه وبين أبيه . وهذا الشعور يتهين به أنى كراهة المدرسة والواجبات المدرسية وموقف الجحد والاقتصاد والوقار الذى يظن به أبوه منه . ومن هنا تكون حقيقة الرحمة التي تعامل بها الأم ابنها ضارنا فظيها من القسوة لأنها تؤدي إلى خيبة بنها .

ولذلك يجب على الأبوين أن يقفوا من أبنائهما موقف سليا يذل قبل كل شيء على تونق الرفاق بينهم وتوحد الرأى في معاملتهم بلا تفضل . وليس المعنى هذا " لا يخفف بيتانا . وإنما قصد إلى أن الاختلاف حين يحدث يجب أن يكون بعيدا عن الأطفال . وخير ما يعامل به الآباء أبنائهم أن يفرضوا أنهم غرباء عنهم وأنهم قضاة عدول . فلا تدليس ولا تفتير ولا قسوة ولا اسراف ولا محاباة بل يعامل الطفل براهة نامة كما به أجنبي . فإذا أخطأ قيل إنه أخطأ وأوضح له الضرر لماشىء من هذا الخطأ في غير تخفيف أو مبالغة . ويجب أن يشعر الطفل أن أبويه على رأى واحد في هذا النظر حتى لا يتشكك ولا يظن أنه مظلوم من ناحية أحدهم أو محابى من ناحية الآخر .

ولما كان لقدوة الأبوين أثر عظيم جدا في نشأة الطفل فإنه يجب على الأبوين أن يسلكا على الدوام السلوك الحسن أمام أبنائهما ولا يرتكب أحدهما أى خطأ يجعل الأطفال يستصغرونه . وأخطر أنواع هذا الخطأ هو الخلاف بين الزوجين أمام أبنائهما وخاصة إذا كان هذا الخلاف بشأن الطفل نفسه أحدهما يقسو والآخر يبدل . وفي مصر ينز الممدل بأنه " ابن أمه " وفي هذا أسوأ المغزى للأمهات اللاتي يغلبن قلوبهن على عقولهن في تربية الأبناء . فيجب على الأم أن تذكر أنها إن تعيش إلى الأبد لايتها وأنها لا بد تاركنه لكي يواجه هذه الدنيا التي إن تحببه أو تحمه . وعابها لذلك أن تترك للأب فرصة تربيته وغرس روح الجسد واليقظة في نفسه .

وإذا كان هذا هو أثر الاختلاف بين الأبوين في توجيه الطفل وأسلوب معاملته فإننا يجب أن نجد مثل هذا الأثر مضروبا في مائة عندما يؤدي الاختلاف بينهما إلى شقاق فشابرة ونفصال فطلاق . فإن الطفل هنا يحس أن جذوره العائلية قد نزعت من تربتها وأنه يواجه عالما من الفوضى ليس له استقرار . وهو يكذب ذهنه الصغير لكي يعرف الحق من الباطل في هذا الشجار ويحقد قلبه موزعا وعقله مظلما مضطربا . وبعد أن ينجح مثل هذا الطفل في الحياة بعد هذه الصدمة الأولى . بل أحيانا تتكرر الصدمات وتضطرب حياة هذا الصغير اضطرابا يبدأ ظهوره في المدرسة ثم في المجتمع . ويمكن أن يقال بوجه الاجمال أن الصبيان الذين انتهوا إلى الإصلاحيات بعد ارتكاب جرائم صغيرة أو كبيرة أو بعد شذوذ أو نشوز قد سبق أن اضطربت حياتهم العائلية بشقاق الآباء بعض الاضطراب أو كل الاضطراب .

فالحياة السعيدة في البيت حياة الزوجين المثقفين الذين يهتديان بالحب ويستنيران في تربية الأولاد بالأصول السديدة في التربية ، هذه الحياة لا تسعد الزوجين فقط بل هي أيضا تسعد الأبناء وتنشئهم النشأة الاجتماعية الصحيحة وتوجههم التوجيه الحسن للنجاح .

س . م .